فرج رمضان الشبيلي
كلية التربية – جامعة المرقب

المقدمة:

الحمد لله الذي أرشدنا إلى الدعاء للسلف الصالح بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1] والصلاة والسلام على رسوله المصطفى، الذي قال: ((عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))[2]. وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فلقد سار علماء الأمة في بيان الأحكام الشرعية على مناهج محددة، وأصول راسخة مستوحاة من أسلوب الشارع الحكيم ومقاصده، ومعهود خطاب العرب، فأثروا الأمة بهذا التراث العظيم من الفقه الإسلامي الذي عالج كافة جوانب الحياة بما حواه من المسائل والأحكام.

ومن العلماء الذين كان لهم دور بارز في إثراء الفقه الإسلامي الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، فهو إمام المذهب المالكي أحد المذاهب الأربعة التي كتب لها البقاء، هذا المذهب الذي لاقى رواجاً وقبولاً واستحساناً في كثير من بلاد المسلمين وذلك لما تميز به من الغزارة الفقهية والمرونة، وهذا راجع إلى ما سلكه إمامه من منهج فريد في بنائه وتكوينه، ابتداءً من مرحلة الطلب وبناء وتكوين الذات، وانتهاء بمرحلة الإنتاج والعطاء.

سلك الإمام مالك في بناء فقهه أصولاً كان من أبرزها أقوال الصحابة رضي الله عنهم والتي اعتبرها حجة يستدل بها ويعتمد عليها في استنباط الأحكام مع أنه لم يدون تلك الأصول التي سار عليها وبنى عليها فقهه وإنما كان يسير عليها سليقة واستحضاراً ذهنياً شأنه شأن غيره من العلماء المتقدمين قبل تدوين العلوم واستقلالها. ومن خلال هذه الورقة سأحاول رفع اللثام عن شيء من معالم منهجه في الاستدلال بأقوال الصحابة ﷺ من خلال فقهه رحمه الله تعالى.

إشكالية البحث: يحاول الباحث في هذه الورقة الإجابة عن السؤالين الآتيين:

- ما موقف الإمام مالك من الاحتجاج بأقوال الصحابة ﷺ ؟.
- ما هي أهم معالم منهج الإمام مالك في الاستدلال بأقوال الصحابة ﷺ ؟.

أهمية البحث: تهدف هذه الورقة إلى ما يأتي:

- التعرف على موقف الإمام مالك من الاحتجاج بأقوال الصحابة ﷺ.
- كشف معالم منهجية الإمام مالك في الاستدلال بأقوال الصحابةﷺ على الأحكام.

المنهج المتبع: سيتبع الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي لمعرفة منهج الإمام مالك وطريقته في الاستدلال بأقوال الصحابة ﷺ.

خطة البحث: انتظم عقد هذه الورقة في : مقدمة، ومبحثين وهما:

---

(1) سورة الحشر الآية (10).

(2) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنة , باب: في لزوم السنة رقم (4607) والترمذي في سننه: كتاب العلم , باب: ما جاء في الأخذ بالسنة رقم (2676) وابن ماجه في سننه: كتاب المقدمة , باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين رقم (42, 43).

مصطفى رجب الخمري

كلية التربية– جامعة المرقب

تقديم :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد :

قد حظي القرآن الكريم منذ نزوله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعناية فائقة لم يحظ بها كتاب غيره ، وصنف فيه علماؤنا من الكتب والبحوث ما يعجز عن حصره العدَ ، وتوالت الكتابات والبحوث في شتى علومه ، واقتداءً بعلماء الأمة الأجلاء الذين درسوا كتاب الله أثابهم الله واستجابة لرغبة ملحة تدعوني لدراسته لما في تلك الدراسة من فائدة جليلة تجنى من فهم هذا الكتاب الكريم فقد أكرمني الله عز وجل بالاسهام بهذا العمل المتواضع ، ولو بجهد مقل ، ولا أدعي أني قد أوفيت الموضوع حقه من البحث ، ولا أني قد استعرضت جميع الآيات القرآنية التي تتعلق به ؛ لأنها كثيرة ومتفرقة في أغلب سور القرآن الكريم . فأثرت أن أتناول جانباً من جوانب وسائل الإقناع في القرآن الكريم ألا وهو : (المثل في القرآن الكريم من الجانب البلاغي) .

والهدف من هذا البحث أن نستعرض بعض الجوانب اللغوية والبيانية في بعض الأمثال التي أثرت وذكرت في القرآن الكريم ــ سواء كانت قياسية التي تأخذ الشكل القصصي في كثير من الأحيان ، أو غير القياسية ، ونقصد بالأمثال القياسية : تلك التي يصرح فيها بلفظ المثل وغالباً ما يبدأ به حديث القرآن الكريم ــ، ويتضمن التصوير البياني غرض التأثير والتوضيح ، وبث المقاصد السامية في النفوس بطريق الوصف ؛ لأن الحقائق السامية في معانيها وأهدافها تأخذ صورتها الرائعة إذا صيغت في قالب يقربها إلى الإفهام بقياسها على المعلوم اليقيني ، والتمثيل هو القالب الذي يبرز المعاني في صورة حية تستقر في الأذهان بتشبيه الغائب بالحاضر ، والمعقول بالمحسوس ، وقياس النظير على النظير ، وكم من معنى جميل أكسبه التمثيل روعة وجمالا ، فكان ذلك أدعى لتقبل النفس له واقتناعِ العقل به ، وهو من أساليب القرآن الكريم في ضروب بيانه ونواحي إعجازه .

والأمثال في القرآن الكريم جانب من الجوانب المهمة التي نسج عليها نظمه ، وهي نافذة عريضة من نوافذ المعرفة لمن تأملها وتدبرها ، وقد جعلها الله تعالى من دلائل رسله ، وأوضح بها الحجة على خلقه ؛ لأنها في العقول معقولة ، وفي القلوب مقبولة .

والأمثال أيضاً ركيزة من الركائز التي بني عليها القرآن الكريم ، وقد أوضح الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فقال فيما أخرجه البيهقي : " كَانَ الْكِتَابُ الأَوَّلُ يَنْزِلُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ : زَاجِراً وَآمِراً

، وَحَلاَلاً وَحَرَاماً ، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً ، وَأَمْثَالاً ، فَأَحِلُّوا حَلاَلَهُ ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ ، وَافْعَلُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ ، وَانْتَهُوا عَمَّا نُهِيتُمْ عَنْهُ ، وَاعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ ، وَقُولُوا آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا " (1) . وإن من حكمة الله تعالى ، ورأفته بعباده وتيسيره لأمورهم أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم ، ففي ذلك تحقيق الفائدة المرجوة ؛ لأنهم في حاجة ماسة لضرب الأمثال ؛ ليدركوا بها ما غاب عن أسماعهم وأبصارهم ، وليعقلوا بها ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة ، فقال تعالى في كتابه :﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (2)﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴾ (3)﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (4)

فمن أجل ذلك أكثر القرآن الكريم من ضرب الأمثال ؛ لفوائده العظيمة فيما يعبر به عن المعاني ، ونقل الصور ، حتى يتحقق الغرض المقصود ، فما من قضية من القضايا التي عالجها إلا أعقبها بضرب الأمثلة التي توضح ما خفي منها ، وتقنع المخاطبين بمضمونها .

فالأمثال القرآنية ، ترقى إلى ذروة البلاغة في النسيج ، وذروة المعنى في الأداء ، وهو لا يترك شأنا من الشؤون المتعلقة بالعقيدة إلا ويبرزه بجلاء ووضوح ، ولما كانت أمثال القرآن الكريم على هذا القدر الكبير من الروعة والعظمة والفائدة ؛ فقد راع الكافرين والمكذبين هذا النمط من الأسلوب القرآني ، فعمدوا إلى التشكيك فيه ، مستكبرين أن يضرب الله الأمثال ، وزاعمين أن الله أعلى وأجل من ذلك ، ثم غالوا في استنكارهم وتساءلوا متعجبين بأن الله عظيم ، ولن يتضمن كلامه إلا عظيما ، فجاءهم الجواب الذي يدحض كذبهم بقوله جل جلاله :﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ (5) وهذا أيضاً من فوائد الأمثال القرآنية بأنها تتميز بالروعة والبيان الذي يكشف المعاني الخفية ، فيجعلها جلية ، مصوراً ذلك تصويراً بليغاً يحقق المقاصد من ذكر الأمثال في القرآن الكريم .

كل هذا دعا الباحث إلى التأمل في الأمثال ، ومحاولة الوقوف عندها ، ودراستها ، وإبداء الرأي فيها ، ولذلك جاء هذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة .

---

(1) انظر : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال علاء الدين على المتقي بن حسام الدين الهندي 274/1 .

(2) سورة الحشر الآية : 21 .

(3) سورة العنكبوت الآية : 43 .

(4) سورة الزمر الآية : 26 .

(5) سورة البقرة الآية : 26 .

المبحث الأول : معنى المثل .

المطلب الأول :المثل عند علماء البيان :-

يتجه علماء البيان في تعريفهم للمثل إلى توضيح العلاقة التي تربطه بقواعد البلاغة العربية ، وتبين ما يتحلى به من سمات بلاغية .

فالمثل عندهم :- تمثيل شيء بشيء فيه استعارة من غير تغيير في العبارة لتوارده ، ولذلك لا تتغير الأمثال (1) .

وهو أيضاً :- قول بليغ يرسله حكيم ، أو يجري على لسان واحد من الناس بقصد أو بغير قصد ، فيقع منهم موقع الغرابة والاستحسان ، لمطابقته للقضية التي قيل فيها ، أو للشأن الذي أريد تصويره بإيجاز بليغ (2) .

وكذلك هو : " جملة من القول مقتضية من أصلها ، أو مرسلها بذاتها ، تتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول ، فتنقل عما وردا فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها ، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني " (3)

وهناك معنى آخر للمثل ذهب إليه أيضاً علماء البيان في تعريفه فهو عندهم : المجاز المركب الذي تكون علاقته المشابهة متى فشا استعماله . وأصله الاستعارة التمثيلية كقولك للمتردد في فعل أمر : " أَرَاكَ تُقَدِّمُ رِجْلاً وَتُؤَخِرُ أُخْرَى "(4) وقيل في ضابط المثل أيضاً : إنه إبراز المعنى في صورة حسية تكسبه روعة وجمالا .

والمثل بهذا المعنى لا يشترط أن يكون له مورد ، كما لا يشترط أن يكون مجازاً مركباً (5) وقد يقصد بهذه الصورة البلاغية توضيح ما خفي وإبرازه في صورة المحسوس ، فيكون المثل حينئذ :- عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ؛ ليبين أحدهما الآخر ويصوره .نحو قولهم :- " الصَّيْف ضَيَّعَتِ اللَّبَنَ " (6). فإن هذا القول يشبه قولك :- أهملت وقت الإمكان أمرك ، وعلى هذا الوجه ما ضرب الله تعالى من أمثال .

---

(1)الإيضاح في علوم البلاغة ، لجلال الدين محمد عبد الرحمن القزويني ، ص 263 . .

(2) دراسات في علوم القرآن ـــــــــ محمد بكر إسماعيل ـــــــــــ ص : 305 .

(3) نهاية الأرب في فنون الأدب ـــــــــ اشهاب الدين النويري ـــــــــ. 2 / 2 .

(4) أدب الكاتب ــ لابن قتيبة ص : 21 .

(5) مباحث في علوم القرآن ــ مناع القطان ص282 .

(6) انظر كتاب المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني 2 / 255 . .

وهنا نستعراض الجوانب اللغوية والبيانية في الأمثال بأقسامها ، التي أخذت الشكل القصصي في كثير من الأحيان ، ويتضمن التصوير البياني في موضوعنا أيضاً التأثيرَ والتوضيحَ ، وبث المقاصد السامية في النفوس بطريق الوصف ، وكثيراً ما يتبلور الكلام في شكل قصصي يقوم على الإيجاز والإبداع مع وضوح الفكرة ، وعمق المغزى وسلامة التعبير .

وقد آثرت أن أعرض لتلك الصورِ التمثيلية البديعة لكونها تفوق ما تسامى به العرب ، وتباروا في صناعته ، وتدبيجه في هذه الصور ، ولنا في هذا الصدد أن نستدل على روائع التمثيل في القرآن الكريم في تميزه وسمو فصاحته ، فقد توفرت فيه الأسسُ والمقومات التي تميزه بخصائصَ سامية ، وسماتٍ فريدة ، يدركها الفصحاء ، ويعيها ذوو الفكر والذوق الرفيع ، ويقفون على كثير من الأساليبِ والتعبيرات القرآنية بشيء من التدبر الملحوظ ، والتعمقِ الكثير ؛ ليستخلصوا من فيوضاتها معاني الحكمة الصائبة ، والآداب البارعة التي تصقل رين العقول ، وتشحذ السرائر بالقيم الروحية ، وتسلط عليها إشراقةَ اليقين فيزول عنها كل وهم يخيم على النفوس ، وتدفع عنها غائلةَ الهوى ، وتحبط كل نزوة تنزع إليها النفس البشرية فيما حرم الله تعالى .

فالمثل القرآني أسلوب بياني فريد ومتميز يجمع بين طياته نماذج حسية مستمدة من الواقع المشاهد ؛ لتكون أقيسة عامة للحقائق المجردة (1)، وعلى الرغم من أن الأمثال القرآنية تندرج تحت التعريف اللغوي لكلمة(مثل) فإنها تحتفظ بطابع الاستقلالية ،ويمكن للمثل القرآني أن يتخذ من المعاني الآتية له لتكون خاصة به :

1 ــ معنى الصفة : كما في قوله تعالى :- ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾(2)أي :- صفة الجنة . وكذلك في قوله تعالى :-:﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ ﴾ (3) أي :- صفتهم

2 . معنى العبرة : ومنه قوله تعالى:﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ ﴾(4) :﴿ سَلَفًا ﴾ أنه جعلهم منفذ من يتعظ بهم الخلق ، ومعنى:﴿ مَثَلاً﴾ أي عبرة يعتبر بها غيرهم من بعدهم(5) .

3 . وقد يأتي ذكراً لحال من الأحوال مشتملاً على ما يناسبها ليبين ما كان خفيا من حسنها أو قبحها ، فيكون قولاً بديعا فيه غرابة تجعله خليقاً بالقبول وقد استعير لفظ المثل لكل حال أو

(1) انظر كتاب وسائل الإقناع ، ص 31 .

(2) سورة الرعد : الآية: 35 .

(3) سورة الفتح : الآية : 29 .

(4) سورة الزخرف :الآية : 56 .

(5) تفسير المراغي 83/9 .

صفة أو قصة ، لها شأن عجيب ، وخطر غريب ، من غير أن يلاحظ بينهما وبين شيء آخر شبه منها قوله تعالى:﴿ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (1) أي :- لهم الصفات الذميمة ، وله – عز وجل – الصفات العلى ذات الشأن العظيم والخطر الجليل ؛ فتعالى الله عما يصفون .

ففي قوله :- ﴿لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ﴾ أي الكفار ﴿مَثَلُ السَّـوْءِ ﴾أ أي :- صـفة السوء ، أي بمعنى الصفة القبيحة؛ وهي وأدهم البنات مع احتياجهم إليهن للنكاح، ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ الصفة العليا وهو :- أنه لا إله إلا هو .

وقد يحتوي المثل على قصة ، فيطلق عليها اسم (القصة التمثيلية) ، وهي تعمل في الغالب صورة فرضية ، وأحياناً تكون حقيقة تاريخية سبقت لمجرد التصوير وإبراز المنقول في صورة المحسوس قال تعالى : ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًا قَالَتْ إِنِّيَ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًا﴾ (2) .

في قوله تعالي :- :﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا ﴾ بعد لبسها ثيابها ﴿ بَشَرًا سَوِيًا ﴾ تام الخلق﴿ قَالَتْ إِنِّيَ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًا ﴾ فتنتهي عني بتعوذي .

5 ــ معنى الحكمة :- وقد سمي المثل حكمة لانتصاب صورها في الأذهان باعتبار أنها مشتقة من المثول والانتصاب ، فكل حكمة متناثرة تسمى مثلا ، والكلمة إذا شاعت وانتشرت وكثر دورانها على الألسن تكون مثلاً ، أما إذ كانت صائبة وصادرة عن تجربة ، ولم تدر على الألسن فتسمى حكمة " فمن تعريف الحكمة أنها :" الكلام النافع ، المانع من الجهل والسفه ، والناهي عنهما" قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ (3)(4) ومن هذا المعنى يمكن للإنسان أن يؤتى العلم ، ولكن لا يحسن استعماله في وجه الصواب فيكون أعطي العلم ، ولكنه لم يعط الحكمة .

(1)سورة النحل : الآية : 60 .

(2)سورة مريم : الآيتان 17 ، 18 .

(3)سورة لقمان : الآية : 12 .

(4)تفسير الجلالين : 412

المطلب الثاني : المثل عند المفسرين :-

يتجه المفسرون للقرآن الكريم في دراستهم للمثل إلى توضيح جميع الجوانب المتعلقة به ، سواء منها اللغوية ، أو البلاغية ، أو ما يتعلق منها بكلام الله تعالى فابن عطية ، عرف المثل بقوله :- المثل والمثيل واحد معناه :- الشبه ، والمتماثلان المتشابهان ، وقد يكون ما يتعلق النفس وتتوههم من الشيء مثلا له (1)

والأصل في المثل ، أو المثيل أن يقصد بهما النظير ، أو الشبيه ، لكن المعنى توسع أكثر ليشمل كل كلام بليغ شاع بين الناس وكان مشتملاً على تشبيه ، أو استعارة رائعة ، أو حكمة بليغة ، أو نظم من جوامع الكلم الموجز (2) .

ورأي المراغي :- أن ضرب المثل في الكلام أن يذكر لحال ما يناسبها فيظهر من حسنها وقبحها ما كان مخفيا ، وهو مأخوذ من ضرب الدراهم ، وهو إحداث أثر خاص فيها ، ولا يظهر التأثير في النفس بتحقير شيء إلا بتشبهه بما جرى العرف بتحقير ونفور الناس منه (3)

والمثل له معنيان :

الأول : هو القول السائر على وفق الحال التي ضرب لها ، ولا بد فيه من غرابة . مثل قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ (4) .

الثاني : عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني ؛ أي معنى كان ، وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة ، وذلك أن (الند) يقال فيما يشارك في الجوهر فقط و(الشبه) يقال فيما يشارك في الكيفية فقط . و(المساوي) يقال فيما يشارك في الكمية فقط ، و(الشكل) يقال فيما يشارك في القدر والمساحة فقط ، و(المثل) عام في جميع ذلك (5).

(1)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ص 98 .

(2) روح المعاني تفسير القرآن العظيم ـــــــ شهاب الدين محمد الألوسي ـــــــــــ 163/1 .

(3) تفسير المراغي :- أحمد مصطفى المراغي ، 1 / 65 .

(4) سورة محمد الآية : 15 .

(5) : عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ـ أحمد بن يوسف بن عبدالدائم الحلبي المعروف بالسمين ـ.2451/4

المبحث الثاني :- فائدة المثل القرآني ، و خصائصه ، وروعته في القرآن الكريم .

المطلب الأول : فائدة المثل القرآني :-

الأمثال في القرآن الكريم جانب من الجوانب المهمة التي نسج عليها نظمه وهي نافذة عريضة من نوافذ المعرفة لمن تأملها وتدبرها ، وقد جعلها الله تعالى من دلائل رسله ، وأوضح بها الحجة على خلقه ؛ لأنها في العقول معقولة ، وفي القلوب مقبولة (1).

وللمثل فوائد عديدة وجمة في ما يعبر به عن المعاني ، ونقل الصور ، حتى يتحقق الغرض المقصود ، لأجل ذلك أكثر القرآن الكريم من ضرب الأمثال .

ومن فوائد الأمثال القرآنية أنها تتميز بالروعة والبيان الذي يكشف المعاني الخفية فيجعلها جلية ، مصوراً ذلك تصويراً بليغا ، يحقق المقاصد المراد من ذكر الأمثال في القرآن الكريم .

وقد أبرز الشيخ عبد القاهر الجرجاني في كتابه (أسرار البلاغة) صوراً لفوائد المثل يقول فيه : " واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه هو أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صوره الأصلية إلى صورته ، كساها أبّهة ، وأكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ، وشب من نارها ، وضاع قواها في تحريك النفوس لها " (2)

وقد تناول الجرجاني هنا المثل من عدة جوانب نوردها فيما يلي :-

1 – من حيث كونه مدحاً : " فإن كان مدحا :- كان أبهى وأفخم ، وأنبل في النفوس ، وأسرع للألف ، وأغلب على الممتدح ، وأوجب شفاعة للمادح " ومثاله في قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾(3)

2– من حيث كونه ذماً :- " فإذا كان ذماً : كان مسه أوجع ، ولمسه ألذع ، ووقعه أشد ، وحده أحد " مثاله قوله تعالى:﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ

(1)انظر : أدب الدين والدنيا : 11 .

(2) انظر : أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني ــ ص : 115

(3) سورة الفتح : الآية : 29 .

مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِين كَذَّبُوا بِئَايَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(1)القصد التشبيه في الوضع والخسة ، بقرينة الفاء المشعرة بترتيب ما بعدها على ما قبلها من الميل إلى الدنيا وإتباع الهوى .

3 – من حيث كونه حجاجا:– فإذا كان حجاجا : كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر(2) ومثاله في القرآن الكريم : قول الله تعالى:ـــــ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (3)

4 ــ من حيث كونه اعتذاراً : "فإن كان اعتذارا : كان على القبول أقرب ، وللقلوب أخلب ، وللسخائم (4) . أسل وأغرب (5) الغضب أفل "(6) . مثاله قوله تعالى :– ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾ (7) .

وفوائد المثل لا يمكن حصرها في نقاط ، وهذا إذا دل على شيء فإنما يدل على فضل الله تعالى على عباده ورحمته بهم ـــــــــــ سبحانه وتعالى ـــــــــــ حتى يتسنى للناس معرفة المعاني واستقرارها في قلوب المسلمين جميعاً ، كما أن كثرة الأمثال في القرآن الكريم دليل على عظمة الله تعالى وقدرته ، وقد حظي المثل بالمكانة العالية المرموقة ؛ لأن معانيه مأخوذة من كتاب الله تعالي الذي لا يضاهيه إعجاز ولا تضاهيه بلاغة ، فهو قول الله تعالى الذي لا يحتمل شكاً ولا بهتانا فالحمد لله على نعمه وفضله .

المطلب الثاني : خصائص الأمثال في القرآن الكريم :–

(1) سورة الأعراف : الآية : 176 .

(2)انظر: كتاب الأمثال في المثل والتمثيل والمثلاث ص : 30 .

(3) سورة البقرة الآية : 258.

(4)السخيمة :– العقد في القلب ، والجمع سخائم (كتاب جمهرة اللغة 2/ 22 مادة : (سخم).

(5)غرب أي بعد ، يقال : أغرب عني :– أي تباعد انظر : الصحاح للجوهري 193/1 .

(6)انظر : كتاب بلاغة القول في القرآن الكريم : للدكتور عبد الله محمد النقراط . . ص : 12 .

(7) سورة فصلت الآية : 5 .

لقد امتازت الأمثال القرآنية بخصائص فنية ، وميزات بلاغية ، جعلتها ترقى على غيرها من فنون الآداب ، فجمع القرآن الكريم كل الخصائص والسمات ؛ لتحقيق التأثير العميق في قلوب المخاطبين وعقولهم ، فأقنعتهم بما سيقت لأجله (1) .

الخاصية الأولى :- التصوير الدقيق للمشاهد والأحداث قال تعالى:﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُم كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيَاحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ ﴾ (2) .

هذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار التي كانوا يعملونها في الدنيا ، ويعتقدون أنها صالحة حيث شبه تلك الأعمال وما تؤول إليه يوم القيامة ، برماد عصفت به الريح في يوم عاصف ، فنسفته وذهبت به ، فكذلك أعمالهم تلاشت ، فينجيهم من سخطه وعذابه ، وسبب ذلك أنهم لم يعملوها خالصة لوجه الله ، بل كانوا يشركون فيها معه الأصنام والأوثان (3).

وقد شبه الله تعالى تلك الأعمال " بالرماد لخفته وسرعة تفرقة بالريح ؛ ولأنه لا ينبت شيئا بخلاف التراب ، وجمع الرياح ليفيد شدة التفرق من جميع الجهات (4) .وفي هذا التشبيه سر عجيب ، وذلك لما بين تلك الأعمال وبين الرماد من التشابه في إحراق النار لهما ، وإذهابها لأصلهما ، وقد دل على أن الأعمال التي يقدمها الكافرون لغير وجه الله ، وعلى غير مراده طعمة للنار ، وبها تتقد ويزداد لهيبها ، ويشتد سعيرها عليهم ، فتصبح أعمالهم ناراً لهم ، وعذابا عليهم ، وتتحول إلى رماد ، وبالتالي فإنهم وما يعبدون من دون الله وقود للنار (5) .ووجه المشابهة بين الرماد وبين أعمال الكفار؛ هو أن الريح العاصف تطير الرماد وتذهب به ، وتفرق أجزاءه بحيث لا يبقى منه شيء ، وكذلك أعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى منها شيء " (6)

---

(1) انظر :- دراسات في علوم القرآن ــ ص 305 .

(2) سورة إبراهيم الآية : 18 .

(3)انظر : جامع البيان عن تأويل أي القرآن : ابن جرير الطبري 2/ 260 .

(4)انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي 2/ 340 .

(5)انظر :- أعلام الموقعين عن رب العالمين – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي قيم الجوزية 1/ 186

(6) انظر : لباب التأويل في معاني التنزيل – علاء الدين على بن محمد بن محمد بن إبراهيم البغدادي 3 /32

ولقد رسم هذا المثل صورة دقيقة للحالة التي يعانيها الكافرون يوم القيامة ، حين يتفقدون أعمالهم التي قدموها في الدنيا فلا يجدون منها شيئا ، وتأتي براعة التصوير من خلال تشبيه تلك الأعمال بالرماد الذي تذروه الرياح في يوم كثير العواصف ، وهو من التشبيهات البليغة " فقد اجتمع المشبه والمشبه به في الهلاك وعدم الانتفاع ، والعجز عن الاستدراك لما فات ، وفي ذلك الحسرة العظيمة ، والموعظة البليغة " (1)

ومثله قول الله تعالى : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (2) التمثيل منزع جليل بديع من منازع البلغاء لا يبلغ إلى محاسنه غير خاصتهم ، وهو هنا من قبيل التشبيه لا من الاستعارة ؛ لأن فيه ذكر المشبه والمشبه به ، وأداة التشبيه ، وهي لفظ مثل .

فجملة ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ واقعة من الجمل الماضية موقع البيان والتقرير ، فكان بينها وبين ما قبلها كمال اتصال ؛ فلذلك فصلت ولم تعطف ، فقد اختص لفظ المثل بفتحتين بإطلاقه على الحال الغريبة الشأن ؛ لأنها بحيث تمثل للناس ، وتوضح وتشبه ، سواء شبهت كما هنا أم لم تشبه كما في قوله : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ (3) .

وإطلاقه على قول يصدر في حال غريبة فيحفظ ويشيع بين الناس ؛ لبلاغة وإبداع بين فيه ، فلا يزال الناس يذكرون الحال التي قيل فيها ذلك القول تبعاً لذكره ، وكم من حالة عجيبة حدثت ونسيت ؛ لأنها لم يصدر فيها من قول بليغ ما يجعلها مذكورة تبعاً لذكره فيسمى مثلاً .

وأمثال العرب باب من أبواب بلاغتهم ، وقد خصت بالتأليف ، ويعرفونه بأنه : قولٌ شبه مضربه بمورده . وشرطه أن يكون قولا فيه غرابة من بعض الوجوه . والمقصود من ضرب الأمثال أنها تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه ، وذلك لأن الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي ، والغائب بالشاهد ، فيتأكد الوقوف على ماهيته ، ويصير الحس مطابقاً للعقل ، وذلك في نهاية الإيضاح ، ألا ترى أن الترغيب إذا وقع في الإيمان مجرداً عن ضرب المثل له ، لم يتأكد وقوعه في القلب كما يتأكد وقوعه إذا مثل بالنور ، وإذا زهد في

(1) انظر : النكت في إعجاز القرآن – أبو الحسن على بن عيسى الرماني ص 76 .

[2] () سورة البقرة : الآيات : 17 ـــــــــــ 19 .

[3] () سورة محمد : الآية : 15 .

الكفر بمجرد الذكر ، لم يتأكد قبحه في العقول كما يتأكد إذا مثل بالظلمة ، وإذا أخبر بضعف أمر من الأمور وضرب مثله بنسج العنكبوت ، كان ذلك أبلغ في تقرير صورته من الإخبار بضعفه مجرداً. (1)

ولما شاع إطلاق لفظ المثل على الحالة العجيبة الشأن جعل البلغاء إذا أرادوا تشبيه حالة مركبة بحالة مركبة ـــ أعني وصفين منتزعين من متعدد ـــ أتوا في جانب المشبه والمشبه به معاً ، أو في جانب أحدهما بلفظ المثل ، وأدخلوا الكاف ونحوها من حروف التشبيه على المشبه به منهما ، ولا يطلقون ذلك على التشبيه البسيط ، فلا يقولون : مثل فلان كمثل الأسد . قال في الكشاف : " ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ، ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في سورة المحقق ، والمتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كالشاهد " وقال : " ولأمر ما أكثر الله تعالى في كتابه المبين أمثاله ، وفشت في كلام رسوله ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ وكلام الأنبياء والحكماء(2) قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴾ (3)

ومن أجل إطلاق لفظ المثل ؛ اقتبس علماء البلاغة مصطلحهم في تسمية التشبيه المركب بتشبيه التمثيل ، وتسمية استعمال المركب الدال على هيئة منتزعة من متعدد في غيرما وضع له مجموعه بعلاقة المشابهة : استعارة تمثيلية .

ففي الآية : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ تجد أن حال المنافقين من حيث الحيرة والتخبط والقلق ، والاضطراب ، قد مثلت بحال الذي استوقد ناراً ، وما كاد ضوء النار يبدو ويضيء ما حوله حتى خبا ، فعاد الظلام أشد مما كان ؛ حيث أطفأ الله نارهم ، وعبر بالنور ؛ لأنه المقصود من الاستيقاد ، وأسند إذهابه إلى الله تعالى ؛ لأنه حصل بلا سبب من ريح ، أو مطر أو إطفاء مطفيء ، والعرب يسندون الأمر الذي لم يتضح سببه لاسم الله .

﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ ﴾ هذه الآية تتضمن تقريراً لمضمون ذهب الله بنورهم ؛ لأن من ذهب نوره بقي في ظلمة لا يبصر ، والقصد منه زيادة إيضاح الحالة التي صاروا إليها ، فإن للدلالة الصريحة من الارتسام في ذهن السامع ما ليس للدلالة الضمنية ، فوجه الشبه هو : ظهور أمر نافع ، ثم انعدامه قبل الانتفاع به ، فإن في إظهارهم الإسلام مع المؤمنين صورة من حسن الإيمان ؛ لأن للإسلام نوراً وبركةً ، ثم لا يلبثون أن يرجعوا عند خلوهم بشياطينهم ، فيزول عنهم ذلك ، ويرجعوا في ظلمة الكفر أشد مما كانوا عليه ؛ لأنهم

---

[1] انظر : التفسير الكبير ـــ أو مفاتيح الغيب ـــ 66/1 .

[2] انظر : الكشاف 72/1 .

[3] سورة العنكبوت : الآية : 43 .

كانوا في كفر ، فصاروا في كفر وكذب ، وما يتفرع عن النفاق ، فإن الذي يستوقد النار في الظلام يتطلب رؤية الأشياء ، فإذا انطفأت النار صار أشد حيرة منه في أول الأمر ؛ لأن ضوء النار قد عوَّد بصره ، فيظهر أثر الظلمة في المرة الثانية أقوى ، وبهذا تظهر نكتة البيان بجملة " لا يبصرون " لتصوير حال من انطفأ نوره بعد أن استضاء به . [1]

الخاصية الثانية :- حسن التشبيه :-

في لمحة ربانية كريمة ، وبهدف إقناع المخاطبين بالعمل الصالح ، الذي يقربهم من الجنة ، فقد ضرب المولى أمثلة صور فيها الجنة وما فيها من أشجار وارفة الضلال تجري من تحتها الأنهار ، وقد أبدع هذا التصوير في رسم مشاهد حية للجنة ، ناطقة بمظاهر الحسن والجمال ، والمثل القرآني الكريم يقرب له في أسلوب مشوق صورة الجنة ، التي من آمن واتقى دخلها فتحقق أمله وحلمه ، وعاش في ظلالها ، وشرب من مائها ، وتمتع بخيراتها (2) .يقول الله تعالى :- ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ (3) .

والمعنى :- شكل الجنة وصفتها وليس حقيقتها ؛ لأن الأمثال ليست حقيقة ، وإنما هي لتقريب صورة الممثل له من الأذهان ، وإن هذه ليست الجنة ، وإنما هو مثلها يقربها الله به من أذهاننا فقط ، ولا يمكن أن تكون هذه الجنة ؛ لأن الجنة فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فالله تعالى إذا أراد أن يفهمنا مالا نعلم أعطانا له مثلا ، وإذا أعطى المثل نقاه من شوائب الدنيا ، ولهذا قال: ﴿ مثل ﴾ أي : صفة ﴿ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ المشتركة بين أخليتها.

وقال تعالى في موضع آخر:﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (4)

وقد ورد في سياق المثل قول الله تعالى:﴿ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ بعد قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ وهذا من باب الترقي ؛ لأن من تذكر آلاء الله تعالى ، وفكر فيما أسبغ عليه من

---

[1] انظر : التحرير والتنوير 312/1 .

(2) انظر : الأمثال في الأديان فوزي شعبان ـــــ ص 121 .

(3) سورة محمد الآية : 15 .

(4) سورة الأعراف الآية : 58 .

الخيرات والنعم ،عرف حق النعمة فشكر ، وهذا مثل لمن ينجح فيه الوعظ ، ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك (1)

الخاصية الثالثة :- أن المثل القرآني يهدف إلى ما يهدف إليه كل فن بلاغي في القرآن الكريم من التأثير في العاطفة ، فترغيب أو ترهيب ، ومن أجل هذا كان للمنافقين والكافرين والمشركين نصيب وافر من التمثيل الذي يزيد نفسيتهم وضوحاً ، ويصور وقع الدعوة على قلوبهم ، وما كانوا يقابلون به تلك الدعوة من النفور والإعراض .

ونجد المثل القرآني يصور لنا حالهم ، وقد استمعوا إلى دعوة الداعي ، فلم تؤثر فيهم تلك الدعوة رغبة في التفكير فيها ، لمعرفة ما قد تنطوي عليه من صدق ، وما قد يكون فيها من صواب ، بل يحول بينهم وبين ذلك الكبر والأنفة ، وما أشبههم بمن في أذنه صمم ، فهو لا يسمع شيئا مما يدور حوله وبمن أصيب بالبكم ، فهو لا ينطق بصواب اهتدى إليه وبمن أصيب بالعمى ، فهو لا يرى الحق الواضح ، وبذلك شبههم القرآن ، فقال :- ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ (2) .

والمعنى في قوله : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي فيما هم فيه من الغي والضلال والجهل ؛ كالدواب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها إذا نعق بها راعيها ، أي دعاها إلى ما يرشدها لا تفقه ما يقول ولا تفهمه ، بل إنما تسمع صوته فقط وإنما ضرب لهم هذا المثل في دعائهم الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئاً ؛ لأن الأصنام لا تسمع شيئا ، ولا تعقله ، ولا تبصره ، ولا بطش لها ولا حياة فيها (3) .

وفي قوله : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ أي صم عن سماع الحق ، بكم لا يتقوضون به ، عمي عن رؤية طريقه ومسلكه ﴿ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ أي لا يعقلون شيئا ولا يعظمونه .تجد مدى التحقير والإهانة في تمثيلهم ، وقد أعرضوا عمن يدعوهم إلى الحق بالأنعام التي لا تسمع إلا بدعاء ونداء ، ثم وصفهم بهذه الصفات التي التحمت ، وصارت كأنها شيء واحد قد تمكن منهم ، وأحاط بهم ﴿صم بكم عمي ﴾ فهم في إعراضهم عن الهدى ليسوا إلا كذلك ؛ لأنه

(1) انظر : روح المعاني الألوسي : 148/8 .

(2)سورة البقرة : الآية : 171 .

(3) انظر تفسير ابن كثير 360/1 . .

لا يعرض عن الحق والهداية إلا فاقد وسائل الإدراك ـــــ صم بكم عمي.ـــــ ولو كانت لهم آذان وألسنة وعيون ما داموا لا ينتفعون بها ولا يهتدون، فكأنها لا تؤدي وظيفتها التي خلقت لها، وكأنهم لم توهب لهم آذان وألسنة وعيون ، .وهذه منتهى الزراية بمن يعطل تفكيره، ويغلق منافذ المعرفة والهداية، ويتلقى في أمر العقيدة والشريعة من غير الجهة التي ينبغي أن يتلقى منها أمر العقيدة والشريعة.

وتأمل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [1] مشهد فيه حركة ترسم هيئة المستكبر المعرض المستهين ، ومن ثم يعالجه بوخزة مهينة تدعو إلى تحقير هذه الهيئة ﴿ كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ﴾ وكأن هذا الثقل في أذنيه يحجب عن سماع آيات الله الكريمة ، وإلا فما يسمعها إنسان له سمع ، ثم يعرض عنها هذا الإعراض الذميم ، ويتمم هذه الإشارة المحقرة بتهكم ملحوظ ﴿ كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ فما البشارة في هذا الموضوع إلا نوع من التهكم المهين ، يليق بالمتكبرين المستهزئين ، نجد ذلك التدرج في بيان حال ذلك الكافر ، الذي ولى مستكبراً عند تلاوة الآيات عليه ، وتشبيهه بمن لم يسمع ، ثم بمن فقد كلية ، يشعر بعظمة القرآن ، ويدل على إعجازه ، وبلوغه الغاية في الهداية ، إذ لا يعرض عنه إلا من لم تتوفر له سبل سماعه ، أما من يسمع ويعقل فلا يتأتى له الإعراض والاستكبار ، فكرر التشبيه ؛ لتقويته مع اختلاف الكيفية في أن عدم السمع مرة مع تمكن آلة السمع ، ومرة مع انعدام قوة آلته ، فشبه ثانياً بمن في أذنيه وقر ، وهو أخص من معنى كأن لم يسمعها ، وإطلاق البشارة هنا استعارة تهكمية . [2]

وقد لجأ القرآن إلى التمثيل الذي يصور لنا به فناء هذا العالم الذي نراه مزدهرا أمامنا ، عامراً بألوان الجمال ، فيخيل إلينا استمراره وخلوده ، فيجد القرآن في الزرع يرتوي من الماء فيصبح بهيجاً نضرا ، يعجب رائيه ، ولكنه لا يلبث أن يذبل ويصفر ، ويصبح هشيما تذروه الرياح ، يجد القرآن في ذلك مثلا لهذه الحياة الدنيا ، ولقد أوجز القرآن مرة في هذا المثل وأطنب فيه مرة أخرى ؛ ليستقر معناه في النفس ، ويحدث أثره في القلب ، فقال مرة : ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ (3)

---

[1] ()سورة لقمان : الآية : 7 .

[2] () انظر التحرير والتنوير 144/21 . بتصرف .

(3) سورة الكهف : الآية : 45 . .

وقال في موضع آخر:﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ (1).

المطلب الثالث : روعة البيان في المثل القرآني :

إن الله تعالى خلق الناس ، وقسم بينهم أرزاقهم ، وحظوظهم في الحياة الدنيا ، وشاءت إرادته جل جلاله – أن يكونوا مختلفين في هذه الأرزاق والحظوظ ، وسبق في علمه أن عقولهم ومداركهم لن تكون متساوية ؛ لهذا أكثر الله من ذكر الأمثال في القرآن ، ونوع في أساليب عرضها ؛ لتكون سهلة ميسرة للجميع ، وهو على الرغم من علوه وسموه وبلاغته التي لا تضاهى خاطب الناس على قدر مداركهم ، وراعى اختلاف مستوياتهم ، فقدم لهم الأمثال في صور مختلفة ، وبأساليب متعددة ؛ ليسهل عليهم جميعا فهمها ، قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾: (2) وهذا من مظاهر الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم (الأمثال القرآنية) فقد جاء القرآن العظيم متضمنا لأنواع كثيرة من الأمثال ، وقدمها للمخاطبين في صور رائعة (3).

فالأمثال غريبة للكلام في جميع اللغات ، وعند جميع الشعوب والأمم ، وبالنسبة للغة العربية فإنها تحتل مكانة عظيمة في هذا الشأن بين لغات العالم الأخرى ، حيث تبوأت الأمثال فيها منزلة مرموقة ، واستعمل العرب الأمثال في كلامهم بنوعية (الشعر والنثر) وكانوا يعدون الأمثال زينة لكلامهم وجلية له ، ويعتبرونها مسحة من جمال تتحلى بها لغتهم .

وتتضمن الأمثال في ثنايا الكلام مما يجعل لها موقعا في الأسماع ، وتأثيرا في القلوب ، وإقناعا للعقول ، تفوق به غيرها من ضروب القول الآخر ؛ لأنها تجعل المعاني واضحة جلية ، وتأتي بالشواهد بارزة غنية ، وتحوز شقته القلوب وإقناعا للعقول ، تفوق به غيرها من ضروب القول الآخر (4) قال تعالي :- ﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ ﴾ (5) ..

فالأمثال ينبوع من ينابيع الاستدلال التي اعتمدها القرآن الكريم لإثبات قدرة الله تعالى ، وترسخ الدين في القلوب ، وهي وسيلة من الوسائل المهمة لإقناع الناس ، وذلك لما تضفية على المعنى من سيمات حسنه تجعله أكثر عذوبة ، وأسهل التصاقا بالذهن ، فقد يضرب

(1) سورة الحديد : الآية : 20 .

(2) سورة الكهف : الآية : 54 .

(3)انظر : كتاب وسائل الإقناع مصدر سابق ص 72 .

(4)انظر : نفس المصدر ص 74 .

(5) سورة إبراهيم : الآية : 45 .

الأمثال لتبيين الحقيقة ، وترسيخها في قلوب المخاطبين يقول المولى – عز وجل ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِين ﴾ (1)

فالمثل الذي تضمنه هذا النص الكريم يدل على أن الله جلت قدرته يهدف من ضرب الأمثال في كتابه الكريم إلى تبيين الحقائق وتثبيتها ، وإقامة الدليل المقنع من خلالها ، كما يدل على أن القرآن الكريم قد جارى العرب فيما كانت تضربه من الأمثال ، فليس المهم نوع المثل أو حجمه ، بل المهم وضوحه ودقة معناه ، والمعنى :– ماذا يريد الله تعالى من ضربه لهذا المثل

وفي قوله تعالى : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً ﴾ يعني المنافقين ، ﴿ ويهدي به كثيراً ﴾ يعني المؤمنين ، فيزيد هؤلاء ضلالة إلى ضلالتهم لتكذيبهم بما قد علموه حقا يقينا من المثل الذي ضربه الله إياهم به ، ويهدي به ؛ يعني المثل كثير : أن أهل الإيمان لتصديقهم بما قد علموه حقا يقينا أنه موافق لما ضربه الله له مثلا ، وإقرارهم به وذلك هداية من الله لهم به ﴿ وما به إلا الفاسقين﴾ قال هم المنافقون (2).

إن المتتبع للأمثال الواردة في كتاب الله تعالى ، يلاحظ أنها تضرب لشرح وتوضيح كثير من القضايا التي يتناولها ، وبخاصة القضايا التي تتعلق بجوهر العقيدة الإسلامية ، وقد أوضح الرُّمّاني روعة البيان في المثل القرآني فقال :–" هذا بيان قد أخرج ما لم تجربه عادة إلى ما قد جرت به، وقد اجتمع المشبه به في الزينة والبهجة، ثم الهلاك بعده، وفي ذلك العبرة لمن اعتبر، والموعظة لمن تفكر في أن الكل فان حقير وإن طالت مدته، وصغير وإن كبر قدره " (3).

وزاد الزمخشري هذه الروعة بيانا بقوله : " شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال ، بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاماً بعد ما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورفيقه " (4).

---

(1) سورة البقرة : الآية : 26 .
(2) انظر : تفسير ابن كثير 1/ 113– 114 .
(3) ينظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني ص : 77 .
(4) انظر : الكشاف الزمخشري 2 /233 .

ومن روعة الأمثال القرآنية أنها تنير للإنسان طريق الخير ، وتقوده إلى الاستسلام والخضوع التام له ، وبما تدعو إليه من أخلاق فاضلة تغسل النفس الإنسانية من أدرانها ، وتدرك مدى ثقل الأمانة التي حملتها بخلافة الله في أرضه ، فتكون قوية بإيمانها مخلصة في عملها ، طيبة في إنتاجها.

المبحث الثالث :- أغراض المثل في النظم القرآني ، مع أنموذج من كلام العرب أمثالاًومن آيات الكتاب العزيز:

المطلب الأول : أغراض المثل :

تضرب الأمثال في القرآن الكريم لحكم جليلة وأغراض سامية منها :- تقريب البعيد وتصويره بصورة القريب المدرك المحسوس ، ومنها تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالحاضر(1). ويمكن توضيح الأغراض من ضرب الأمثال القرآنية في الآتي :-

الغرض الأول :- الإقناع :

يهدف القرآن الكريم من ضرب الأمثال في كثير من آياته إلى إقناع المخاطب بفحوى تلك أمثال قال تعالى :-﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (2).

وقد يصل الإقناع إلى ثلاثة مستويات نلخصها فيما يلي:

أ ــ مستوى الحجة البرهانية كما قال تعالى :﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (3) .

ب ــ مستوى الحجة الخطابية :- فهي حجة اقناعية ظنية تفيد الظن الراجح ، قال تعالى :﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (4).

قال الحسن البصري :- " كما بدأكم في الدنيا كذلك تعودون يوم القيامة أحياء " وقال قتادة :- " بدأ ، فخلقهم ولم يكونوا شيئاً ثم ذهبوا ثم يعيدهم ".(5)

---

(1) انظر : الإتقان للسيوطي 2 / 484 .

(2)سورة الزمر : الآية : 27

(3) سورة الروم . الآية : 27 .

(4) سورة الأعراف . الآية : 29 .

(5) انظر تفسير ابن كثير 3 / 158 .

ج ــ مستوى لفت النظر إلى الحقيقة عن طريق صورة المشابهة :- وهي لفت النظر إليها يكفي فيها إيراد المثل المشابه ولو لم يشتمل على أية حجة ، قال تعالي :- ﴿ ٱ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (1) فقد اشتملت هذه الآيات عن أمم ضربها الله تعالى على حقيقة البعث وقدرته ــ جل وعلا – على إعادة خلق الناس من العدم لا شك أنه على إعادة الخلق أقدر .

د ــ الإقناع ببطلان عقيدة الشرك :- قال تعالى :-﴿فَلاَ تَضْرِبُوا للهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾(2) فقد ضرب الله في هذه الآية مثالا واقع الحياة بغية إقناع المخاطبين بحقيقة وجود الله ، وأنه واحد لا شريك له ، فبعد أن ذكرهم بنعمه وأفضاله عليهم ، نعى إليهم جهلهم وقبح أفعالهم باتخاذهم آلهة يعبدونها من دونه ، وينسبونها إليه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ففي قوله :﴿ فَلاَ تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَال﴾ أي تجعلوا لله شركاء تتخذونهم بجهلكم وقصوركم آلهة من دونه ، وتشبهونهم به ، وهو يعلم أنه لا إله إلا هو ، وأنه واحد قادر لا مثيل له(3).

الغرض الثاني :- تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب :-

فقد يكون المخاطب جاهلاً بحقيقة الشيء الممثل له ، فيصعب إقناعه به ، ويتعذر إحضاره له ، فعندما يؤتى بالمثل القرآني لتسهيل الأمر أمامه ، ورفع الجهالة عنه ، وإزالة ملاحقه من غموض ، وعن طريق المثل يصل المخاطب إلى الغاية المرجوة ، وهي فهمه وإدراكه للمراد ، وعندها لن يبقى واقعات تحت دائرة الشك فلا يسعه إلا الإقناع بمضمونه ، والإيمان به والتسليم بنتائجه (4) .

وقد وضع القرآن صورة المثل بالأمور التالية :-

1 - **المؤمنون والكافرون :-**

من الأمثلة المقربة لصورة الممثل له قول الله تعالى :- ﴿ ٱ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ

(1) سورة الأنبياء . الآية : 104 .

(2) سورة النحل الآية : 74 .

(3) . ينظر :- تفسير ابن كثير ، 2 / 560 . وينظر :- الجامع لأحكام القرآن القرطبي 146/10 .

(4) دراسات في علوم القرآن ـــــــ ص : 310 .

وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾ (1).

في هذه الآيات ضرب الله مثلاً لفريقين من الناس- :

1 - الفريق الأول : المشركون الذين كفروا بالله وصدوا عن سبيله ، وكذبوا رسله ولأتبياءه ، وحاربوهم وقاوموا دعوتهم .

2- الفريق الثاني : المؤمنون الذين استجابوا لداعي الحق ، فآمنوا به ، وصدقوا رسله وأنياءه ، وآزروهم ونصروهم ، وخشعوا قلوبهم لخالقهم .

لقد شبه المولى – عز وجل المشركين بالأعمى الذي لا يرى شيئاً ، والأصم الذي لا يسمع شيئاً فالمشرك معدوم الحس والإدراك .

وشبه سبحانه عباده المؤمنين بالبصير الذي يبصر ويرى كل شيء ، والسميع الذي يعي ويفقه كل شيء (2) ووجه الشبه في هذا المثل هو " أنه تعالى خلق الإنسان مركبا من الجسد ومن النفس ؛ وكما أن للجسد بصراً وسمعاً ، فكذلك حصل لجوهر الروح سمع وبصر ، وكما أن الجسد إذا كان أعمى أصم بقي متحيراً لا يهتدي إلى شيء من المصالح ، بل يكون كالتائه في حضيض الظلمات لا يبصر نوراً يهتدي به ، ولا يسمع صوتا ، فكذلك الجاهل الضال المضل يكون أعمى وأصم القلب ، فيبقى في ظلمات الضلالات " (3)

2 - الصراع بين الحق والباطل :-

الصراع بين الحق والباطل ، لن يتوقف ما دامت على الأرض حياة ، وهذا من تدبير الله وحكمته، ولتقريب صورة ذلك الصراع يضرب الله تعالى مثلين محسوسين ، فيقول جلت قدرته ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا تُوقِدُونَ

(1) سورة هود . الآية : 19 – 24 .

(2) انظر :- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ـــــــــــ محمد بن على محمد لشوكاني

2 / 710 ..

(3) انظر التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد بن عمر الحسين بن الحسن بن علي الميمي البكري الرازي17 / 167 ، 168 .

عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ (1).

فلقد شبه المولى – جل جلاله – ذلك الصراع بأمرين :-

الأمر الأول :- عام يدركه كل الناس من خلال مشاهدتهم للسيول الناجمة عن مياه الأمطار، ما يعلو تلك السيول وما يطفو عليها من زبد .

الأمر الثاني :- خاص يدركه صافة المعادن الثمينة وأرباب الصناعات المعدنية المختلفة ، فأولئك وهؤلاء يدركون الصراع الذي يدور بين السيول المتدفقة ، والمعادن المنصهرة من جهة ، وبين الزبد الذي يعلو تلك السيول والمعادن من جهة أخرى ، كما أن الزبد في النهاية يذهب ويتلاشى في الحالتين ، ولا يبقى إلا ما ينفع الناس ، فكذلك الباطل ينهزم وينكسر ، ولا يبقى إلا الحق الذي يعلو دائماً ولا يعلى عليه .

إن الغرض من ضرب هذا المثل قدر يكون لتقريب تصور حقيقة الممثل له ، وذلك بتمثيله بمثال مادي يدرك بالحس الظاهر ، وقد يكون للإقناع بأن الغلبة في النتيجة للحق والمحقين ، وبأن البقاء والدوام للأصلح النافع ، أما الباطل والمبطلون والزبد الذي لا ينفع الناس فعرض زائل. (2)

وقد يحتوي المثل على قصة فيطلق عليها اسم (القصة التمثيلية) وهي تعمل في الغالب صورة فرضية ، وأحياناً تكون حقيقة تاريخية سيقت لمجرد التصوير ، وإبراز المنقول في صورة المحسوس ، كما جاء في قول الله تعالى : ﴿ ٱ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًا ﴾ (3)

المطلب الثاني : في أنموذج من كلام العرب أمثالاً ومن آيات الكتاب العزيز :

لما كان الغرض من ضرب المثل : توضيح الغامض ، وتقريب البعيد ، وتجلية المعنى ، من غير كدٍّ للذهن ، ولا إرهاق للفكر ، لذلك أكثر القرآن الكريم من ضرب الأمثال ؛ ليدرك كل سامع وقارئ ، المعنى الذي قصَد إليه الكتاب العزيز من ذلك المثل ، مع غاية الوضوح والبيان ؛ ولهذا وضَّح تعالى الحكمة من ضرب الأمثال فقال في كتابه العزيز:

---

(1)سورة الرعد . الآية : 17 .

(2) انظر :- أمثال القرآن ، لحنبكة مصدر سابق ص : 65

(3) سورة : مريم . الآية : 17 ، 18 .

﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴾ (1) أي ما يتعـــظ بها ، ولا يستفيد منها ؛ إلا أهل العلم والفهم ، الراسخون في العلم ، الذين يعقلون عن الله – عز وجل – مراده ، ويدركون بثاقب فهمهم معانيه وأهدافه .

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن الغرض من التمثيل : هو التفكر في بدائع خلق الله وصنعه الحكيم ، فما من ذرة في الكون إلا وهي ناطقة بعظمة جلال الله ، وإبداع صنعه ، وبالتفكير والتدبر ، يدرك الإنسان تلك الروعة والجلال ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (2) أي ليتفكروا ويتدبروا معانيها ومقاصدها السامية ، وهذه الآية وردت في معرض الحديث عن القرآن وعظمته ، وعلو شأنه بحيث لو أن الله أنزل القرآن على جبل ، فتدبـــر ما في القـــرآن العظيم ، لخشع وتصدع ، على قسوته وصلابتـــه من خوف الله عز وجل – فكيف يليق بالبشر ألا يتأثروا به ؟ وإذا تدبرنا كتاب الله العزيز ، نجده قد نوع الأمثال بشكل عجيب ، فمنها ما ضربه الله تعالى للكفار ، ومنها أمثال عن المنافقين ، ومنها أمثال ذُكِرت عن الحياة الدنيا ، وما فيها من متاع خادع ، تشبه السراب ، يحسبه الظمآن ماء ، ومن الأمثال ما يصور به أعمال أهل الرياء والنفاق ، حيث تذهب أدراج الرياح ؛ لأنها لم يقصد بها وجه الله تعالى . كما ضرب المثل للمؤمن ، الذي ينفق ماله طلباً لمرضاة الله ، بالزارع الذي يزرع الحب ، فتخرج كل حبة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، وهكذا تنوعت الأمثال في القرآن العظيم ، حسب الأشخاص ، والأقوال ، والأعمال ، وفي صور عجيبة ، تشمل (عبدة الرحمن) و (عبدة الأوثان) وكل من سار في طريق الهدى ، أو في طريق الضلال ، كما سنبينه في هذا المطلب ، مقارنة بأمثال العرب في الفصاحة والبلاغة ، وإليك بعض الأمثلة :

"عيَّرَ بُجَيْرٌ بَجرَةَ لَقِيَ بُجيرٌ خَبَرَهُ "(3) قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهْيَ رَمِيمٌ ﴾ (4)

" إنْ عادَتِ العَقْرَبُ عُدْنَا لَهَا " (5): قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ ﴾(1)وقال أيضاً : ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا ﴾ (2)

---

[1] () العنكبوت : الآية : 43 .

[2] () الحشر : الآية : 21 .

[3] () التمثيل والمحاضرة ص 15 .

[4] () يس الآية : 77 .

[5] () مجمع الأمثال 198/1 .

" يَدَاكَ أَوْكَتَا وفُوكَ نَفَخَ "[3] قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾ [4]

"وَإِنَّ غَدًا لِلنَّاظِرِينَ قَرِيبٌ "[5] قال تعالى : ﴿ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [6].

" قَدْ تَبَيَّنَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ "[7] قال تعالى : ﴿ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ [8]

" اعْطِ أَخَاكَ ثَمَرَةً ، فَإِنْ أَبَى فَجَمْرَة " [9]قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ﴾ [10]

" سَبَقَ السَّيْفُ العَذَلَ "[11] قال تعالى : ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [12]

"مَنْ نكَحَ الْحَسْنَاءَ يَغْلُو مَهْرُهَا "[13] قال تعالى : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [14]

" وقدْ حِيلَ بَيْنَ العَيْرِ والنَّزَوَانِ "[15] قال تعالى : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾[16]

" لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ " [17] قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ ﴾ [18]

---

[1](الأنفال الآية : 19 .

[2] الإسراء : الآية : 8 .

[3] التذكرة الحمدونية 104/7 .

[4]الحج : الآية : 10 .

[5] جواهر الأدب 319/1 ،

[6] هود : الآية : 80 .

[7] ، نهاية الأرب 45/3 .

[8] يوسف : الآية : 51 .

[9] خاص الخاص 41 .

[10] الزخرف: الآية : 36.

[11] العقد الفريد85/3

[12]يوسف: الآية : 41.

[13] بهجة المجالس 54/3 .

[14]آل عمران : الآية : 91

[15] خريدة القصر وجريدة العصر 190/3 .:

[16] سبأ : الآية : 54 .

[17] البصائر والذخائر 230/2 .

[18] الأنعام : الآية : 67 .

"مَنْ احْتَرَقَ كُدْسُهُ تَمَنَّى إحْرَاقَ كُدْسِ غَيْرِهِ" [1] قال تعالى : ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [2]

" مَنْ حَفَرَ بِئْراً لأَخِيهِ وَقَعَ فيها "[3] قال تعالى : ﴿ وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ ﴾ [4] ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً ﴾ [5]

"كُلِ البَقْلَ وَلاَ تَسْأَلْ عَنِ الْمَبْقَلَةِ " [6] قال تعالى :﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [7]

قال تعالى :﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [8]

" الْمَأْمُولُ خَيْرٌ مِنَ الْمَأْكُولِ " [9] قال تعالى :﴿ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى ﴾ [10]

" لو كَانَ فِي البُومِ خَيْرٌ ما سَلِمَ على الصَّائِدِ "[11]قال تعالى :﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [12]

بذَا قَضَتِ الأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا * * * مَصَائِبُ قَوْمٍ عِندَ قَوْمٍ فَوَائِدُ "[13]

قال تعالى :﴿ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ [14]

عِنْدَ الْخَنَازِيرِ تُنْفَقُ الْعَذِرَةُ "[15]قال تعالى :﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ [1]

---

[1] التمثيل والمحاضرة 17 .

[2] النساء : الآية : 88 .

[3] الإعجاز والإيجاز 43 .

[4] فاطر : الآية : 43 .

[5] الإسراء : الآية : 84 .

[6] نثر النظم 261 .

[7] المائدة : الآية : 103 .

[8] البقرة : الآية : 216

[9] ديوان المعاني2/436 .

[10] الضحى : الآية : 4 .

[11] الكشكول 3/305 .

[12] الأنفال : الآية : 23 .

[13] ديوان المتنبي 320 .

[14] آل عمران : الآية : 120 .

[15] محاضرات الأدباء 1/279 .

" كلُ شَاة تُنَاط برِجْلِهَا "[2] قال تعالى :﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [3]

" الخُنْفُسَاءُ في أُمِّهَا رَامِشَةٌ "[4] قال تعالى :﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [5]

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

الخاتمة

أفضل كلام ، وأعزه وأكرمه ، وأعظمه بركة ، كتاب الله العزيز الذي عجز عنه خطباء العرب في عنفوانهم ، والشعراء في إبانهم ، فهو يجل عن سجع المتكلمين ، ويعظم عن وزن المتكلفين ، من الخطباء والشعراء ، إنه آية معجزة باقية لأكرم أنبياء الله ، وخيرته من خلقه صلى الله عليه وسلم .

فبعد هذه الجولة مع كتاب الله ، التي عشت من خلالها مع النص القرآني ، وما يحويه من أدلة وبراهين ، أستخلص ما توصل إليه هذا البحث من نتائج أهمها :

1 ــ من الحكمة الإلهية السامية أن يترك القرآن في حالة إيجاز ، جامعاً لأمهات القوانين ، وكليات الأحكام ، منبها على ما فيها من حكم وأمثال ومصالح ، ومرشدا إلى ما تبنى عليه الشريعة من ضرورات ، وحاجيات ، وتحسينات ، ومكملات لكل منها ، وبذلك يتيسر للمجتهد أن يرجع إليه بيسر وسهولة ؛ ليستنبط منه الأحكام التي تتطلبها الحوادث ، والتي تتجدد على الدوام في كل زمان ومكان .

---

[1] () النور : الآية : 26 .

[2] () جمهرة الأمثال 1164 .

[3] () المدثر : الآية : 38 .

[4] () أدب الكاتب 44 ".

[5] () الروم : الآية : 31 .

2 – إن إعجاز القرآن الكريم من حيث إيجازه ، يجيء من فصاحة ألفاظه ، وبلاغة عباراته ، فليس فيه لفظ يثقل على السمع ، أو لا يتسق مع ما قبله ، أو ما بعده ، ولا كلمة غيرها خير منها ، ولا حرف خال من الدلالة على معنى ، فتعبيراته في الذروة العليا من البلاغة ، وأساليبه المتعددة مطابقة لمقتضى الحال .

3 – إن القرآن الكريم معجزة الله تعالى ، وهو معجزة عقلية باقية بقاء الرسالة ، وهذا ما يميزه عن غيره من الكتب .

4 – أن النص القرآني يتضمن الكثير من الأمثال ، واعتمادها وسيلة من وسائل الإقناع لديه ؛ لأن ضرب الأمثال من الأمور المألوفة عند العرب ، ولها مكانة مرموقة عندهم .

5 – تختلف الأمثال القرآنية عن غيرها من الأمثال ، في كونها مقاييس عقلية خالية من التكلف.

6 – امتازت أمثال القرآن الكريم بخصائص وسمات بلاغية جعلتها في الذروة العليا ، واستطاعت بفضلها تحقيق التأثير العميق في قلوب المخاطبين ؛ فأقنعتهم بما ضرب من أجله .

وأخيراً :أحب أن أختم هذا البحث بكلمة وهي من التوصيات ؛ لعلها تضيء الطريق لمن يواصل المسيرة من بعدي ، أشير فيها إلى ما تبين لي من خلال هذا البحث وغيره ، من سعة الإمكانات الدلالية لصيغة الآية القرآنية ، وأن تلك الدلالات هي ـــــــ فيما أؤمن به ؛ دلالات غير متناهية ، ولا محصورة .

ثمة أمر آخر : فلا بد من أن تتظافرفي هذا المجال جهود كل دارسي اللغة ، ودارسي البلاغة والنقد بالخصوص ، حيث يقوم فريق اللغة بالبحث عن المعاني الوظيفية التي تؤديها كل آية عن طريق الاستقراء التام ، على النحو الذي اتضح بيانه في هذا البحث ، ثم يتبع ذلك جهود

الدارسين في مجال البلاغة والنقد للوقوف على الدلالات الفنية التي تولدها طاقات المبدعين من تلك المعاني الوظيفية .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم ــمصحف المدينة المنورة للنشر الحاسوبي .ـ بالرسم العثماني من حيث الرسم والوقف .

1 ــ أدب الدين والدنيا ــ أبو الحسن علي بن حبيب البصري الماوردي ـ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت لبنان ــ الطبعة الثالثة ـ 1425 هـ ـ 2004 م .

2 ــ أدب الكاتب ـ تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ـ شرحه وكتب هوامشه علي فاغور ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ 1408 هـ 1988 م .

3ـ البرهان في علوم القرآن ـ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ـ شرح حديثة وقدم له مصطفى عبد القادر عطا ـ دار القلم ـ بيروت لبنان ـ الطلعة : بلا ـ التاريخ : بلا .

4 ـ البصائر والذخائر ـ أبو حيان التوحيدي ـ تحقيق د . وداد القاضي ـ دار صادر ـ بيروت لبنا ـ الطبعة الأولى ـ 1408 هـ ـ 1988 م .

5ـ الإتقان في علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي ـ دار الجيل بيروت ـ الطبعة الأولى ـ 1998 م .

6 ـ التمثيل والمحاضرة ـ لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي قدم له صلاح الدين الهواري ـ المكتبة العصرية بيروت لبنان ـ الطبعة الأولى ـ 1432 هـ ـ 2011 م .

7 ـ الأمثال والمثل والتمثيل والمثلات ــ سميع عاطف زين ــ الطبعة الثانية ــ 1421 هـ ــ 2000 م

8ـ الأمثال في الأديان ــ فوزي شعبان ــ دار الآفاق العربية ــ الطبعة الأولى ـــــ 1423 هـ ــ 2003 م

9 ـ الأمثال في القرآن ـ أبو محمد عبد الله محمد بن بكر المعروف بابن قيم الجوزية ـ دار المعرفة لبنان ـ الطبعة : الثالثة ـ 1409 هـ ـ 1989 م .

10ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ تأليف ضياء الدين بن الأثير ـ قدم له وعلق عليه ـ أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة ـ دار الرفاعي ـ الرياض السعودية ـ الطبعة : بلا ـ 1984 م .

11 ــ الإيضاح في علوم البلاغة ، لجلال الدين محمد عبد الرحمن القزويني ، ط/ دار ومكتبة الهلال للطباعة بيروت 2000م .

12 ــ تفسير ابن كثير ـ تأليف إسماعيل بن كثير القرشي ــ دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت الطبعة الأولى ـ 1385 هـ - 1966 م .

13ــ تفسير المراغي ـ أحمد مصطفى المراغي ـ منشورات محمد علي بيضون ــ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ الطبعة الأولى ـ 1481 هـ ــ 1998م .

14 ـ جمهرة الأمثال ــ عبد الله بن هلال العسكري ــ ضبطه وكتب هوامشه أحمد بن عبد السلام ـومن معه ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ الطبعة الأولى ـ 1408 هـ ـ 1988 م

15 خاص الخاص ـ عبد الملك بن محمد بن منصور الثعالبي ـ شرح وتعليق مأمون بن محيي الدين الجنان ــ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ 1414 هـ - 1994 م .

16 ـ دراسات في علوم القرآن ــ محمد بكر إسماعيل ـ منشورات دار المنار بيروت ــ الطبعة الثانية ــ 1419 ه ــ 1999 م

17 - روح المعاني تفسير القرآن العظيم ـــ شهاب الدين محمد الألوسي – ضبط وتصحيح ـــ علي عبد البارئ عطية ــ منشورات محمد علي بيضون ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت لبنان ـــ الطبعة : الأولى ــ 1422 هـ -

18 ـ زهر الآداب وثمر الألباب ــ إبراهيم الحصري القيرواني ــ قدم له وشرحه ووضع فهارسه د . صلاح الدين الهواري ـ ـ المكتبة العصرية ـ صيدا بيوت ــ الطبعة الثانية ـ 1429 هـ - 2008 م .

19 ـ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ـ أحمد بن يوسف بن عبدالدائم الحلبي المعروف بالسمين ـ تحقيق عبد السلام أحمد التونجي الحلبي ـ جمعية الدعوة الإسلامية ـ طرابلس ليبيا ــ الطبعة الأولى ـ 1424هـ ـ 1995 م .

20 ـ كتاب أسرار البلاغة ـ عبد القاهر الجرجاني ـ علق عليه محمود محمد شاكر ـ دار المدني بجدة ـ الطبعة الأولى ـ 1412 هـ .

21- كتاب المفردات في غريب القرآن ـ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ـ دار القلم ـ الدار الشامية ـ دمشق بيروت ـ الطبعة الأولى ـ 1412 هـ .

22 ــ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ــ علاء الدين على المتقي بن حسام الدين الهندي ــ تحقيق : محمود عمر الدمياطي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ـــ الطبعة : الأولى ــ 1419 هـ ــ 1998 م .

23 ـمجمع الأمثال ــ تأليف أحمد محمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني ـ قدم له نعيم حسن زرزور ـ منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة : بلا ـ التاريخ : بلا .

24 ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ــ اشهاب الدين النويري ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر ــ الطبعة : بلا ــ التاريخ : بلا

أكتفي بذكر هذا القدر من المصادر ، حتى لا يصاب البحث بالترهل ومن أراد أن يستزيد فعليه بالرجوع إلى الهوامش .

الفهـــــــــــرس

ر.ت	عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحة
1	معالم منهج الإمام مالك في الاستدلال بأقوال الصحابة	فرج رمضان الشبيلي	4
2	أثر الخلوة الصحيحة بالمعقود عليها	سليمان مصطفى الرطيل	22
3	اختلاف الصيغ الصرفية في القراءات القرآنية الواردة في معجم تاج العـــــروس وأثره في المعنى	محمد إمحمد أبوراس عبد الرحمن بشير الصابري	47
4	اختلاف النحاة حول معنى (رُبَّ) وحرفيته	امباركة مفتاح التومي عبير إسماعيل الرفاعي	62
5	الإبداع البياني في المثل القرآني(نماذج مختارة)	مصطفى رجب الخمري	80
6	كتاب "إبراهيم رحومة الصاري 1918– 1972 ترجمته ونتاجه الأدبي" عرض ونقد	ميلود مصطفى عاشور	108
7	جهود الهادي الدالي في تحقيق مخطوط (السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية)	محمد مصطفى المنتصر	120
8	المقومات الطبيعية للسياحة ودورها في التنمية المحلية المستدامة في منطقة الخمس	عمر ابراهيم المنشاز معتوق علي عون	135
9	مقومات السياحة التاريخية والاثرية في شمال شرق ليبيا	عبدالسلام المركز	155
10	قراءة في نتائج مركز أورام مدينة مصراتة خلال الأعوام من 2013 وحتى 2015	عطية رمضان الكيلانى سالمة عبد الله الأبيض	185
11	دور الأسرة في ترسيخ القيم الأخلاقية لذى الأطفال بمرحلة الطفولة المتأخرة	أسماء حامد اعليجه	211
12	علاقة الأخلاق بالسياسة عند الفارابي	كميلة المهدي التومي	238
13	جرائم العنف في المجتمع الليبي	مفتاح ميلاد الهديف	250

14	انعكاسات غياب الأمن على التنمية في المجتمع الليبي بعد ثورة السابع عشر من فبراير (2011م)	بنور ميلاد عمر العماري	273
15	الصمود النفسي وعلاقته بأساليب مواجهة الضغوط (النفسية – الاجتماعية) لدى بعض من أمهات أطفال التوحد المترددات على مركز المقريف للتوحد بمدينة الخمس	حواء بشير معمر أبو سطاش حنان سعيد العورانـــــــــي	295
16	إضافة قيد وتأثير المعاملات (cj,aij)	مناف عبدالمحسن عبدالعزيز	324
17	Comparitive Study of Vector Space Model Techniques in Information Retrieval for Arabic Language	Fatima F. M. Yahia Ahmed M. Abushaala	340
18	Electrodeposition of semiconductors CuInTe2, Thin film solar cells	G. E. A. Muftah A.M. Alshuaib E. M. Ashmila	345
19	Further Proof on Fuzzy Sequences on Metric Spaces	Salma O Irhuma Fariha J Amer	356
20	The weibull distribution as mixture of exponential distributions	Adel Ali Ewhida	360
21	Expressive Treatment of Post-Traumatic Stress Disorder (PTSD) in Sexually Abused Children	Khaled Meftah Gezait	368
22	English Students' Attitudes towards Studying English Poetry	Khadija Ali Al Hapashy Amna Ali Al Mashrgy Hawa Faraj Al Borrki	378
23	Vocabulary knowledge and English reading obstacles faced by Libyan Undergraduate students at Elmergib University	Milad Ali	389
24	Difficulties Encountered by some Libyan Third – Year Secondary School Students in Forming and Using English Future Tenses	Najat Mohammed Jaber Suad Husen Mawal Aisha Mohammed Ageal	399

412	Naiema Farag Egneber Samah Abo-Dagh	An Acoustic Study of Voice On Investigating the difference between the effects of inductive and deductive approach in teaching grammar for sixth grade students in Anahda primary School	25
422	Salem Msaoud Adrugi Mustafa Almahdi Algaet Tareg Abdusalam Elawaj	Using Data Mining techniques in tracking the students' behavior in the asynchronous e-learning systems	26
432	الفهرس		27